رحمة نبينا محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بَاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الاحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكَلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكَلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكَلَّ ضَلَالَةٍ فِيْ النَّارِ. أما بعد،

فإن رحمة نبينا محمد ﷺ قد بلغت الغاية العظمى، وتسنمت السنام الأعلى؛ حتى قصر ربنا سبحانه رسالته ﷺ على الرحمة، فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. قال ابن كثير:" يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قَبِل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة؛ سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها؛ خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]"[(١)]. وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال:" إني لم أُبعث لعانا، وإنما بُعثت رحمة"[(٢)]. فقصر النبي ﷺ بعثته على الرحمة. وقال ﷺ:" إنما أنا رحمة مهداة"[(٣)]. فنبينا محمد ﷺ رحمة هدية من رب البرية جل وعلا.

ويمكن إيجاز الكلام عن رحمته ﷺ في الفصول الآتية:

أولا: عموم رحمته ﷺ للعالمين:

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(٥/٣٨٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩).

(٣) الصحيحة(٤٩٠).

وكونه ﷺ رحمة للعالمين يفسر بوجهين: أحدهما: ما تقدم ذكره فيما قاله ابن كثير- رحمه الله- أنه ﷺ رحمة بشرط قبولها وشكرها، وذلك كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض. والثاني: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته. أما أتباعه: فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة. وأما أعداؤه: فالمحاربون له عجل قتلهم، وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء؛ فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر. وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له. وأما المنافقون: فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره. وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض. فأصاب كل العالمين النفع برسالته[1].

ثانيا: وجوه كونه ﷺ رحمة:

وكون نبينا محمد ﷺ رحمة من وجوه كثيرة- هي نفسها كونه محمودا:

منها: تسميته ﷺ بهذا الاسم؛ لما اشتمل عليه من مسماه وهو الحمد؛ فإنه ﷺ محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم- وإن كفر به بعضهم؛ فإن ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل وإن كابر عقله جحودا أو عنادا أو جهلا، وهو ﷺ اختص من مسمى الحمد بما لم يجتمع لغيره، فإن اسمه محمد وأحمد، وأمته الحمادون: يحمدون الله على السراء والضراء، وصلاة أمته مفتتحة بالحمد، وخطبته مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد، وبيده ﷺ لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدي ربه عز وجل للشفاعة ويؤذن له فيها يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ.

ومنها: أنه صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وإذا قام في هذا المقام؛ حمده حينئذ أهل الموقف كلهم: مسلمهم وكافرهم، أولهم وآخرهم.

ومنها: أنه ﷺ محمود بما ملأ الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض، واستنقذهم من أسر الشيطان ومن الشرك بالله والكفر به والجهل به؛ حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة؛ فإن رسالته وافت أهل الأرض

---

(١) انظر ابن القيم، جلاء الأفهام(١/١٨١).

أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عباد أوثان وعباد صلبان وعباد نيران وعباد الكواكب ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله وحيران لا يعرف ربا يعبده ولا بماذا يعبده، والناس يأكل بعضهم بعضا، من استحسن شيئاً دعا إليه، وقاتل من خالفه، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة، وقد نظر الله سبحانه حينئذ إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار من دين صحيح، فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشف به تلك الظُّلَم، وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، وكثّر بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وفتح به أعيناً عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا؛ فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدَع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ومنها: أنه ﷺ عرفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدَع حسناً إلا أمرهم به، ولا قبيحاً إلا نهى عنه، كما قال ﷺ:" ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به ولا من شيء يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه"(١). وقال أبو ذر رضي الله عنه:" لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما"(٢).

ومنها: أنه ﷺ عرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدَع باباً من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلا إلا بينه وشرحه؛ حتى هدى الله به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها.

فأي بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ وجزاه عن أمته أفضل الجزاء.

ومنها: ما جبله الله عليه ﷺ من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ؛ علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق؛ فإنه ﷺ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثا، وأحلمهم، وأجودهم، وأسخاهم، وأشدهم احتمالا، وأعظمهم عفوا

---

(١) الصحيحة(٢٨٦٦).

(٢) الصحيحة(١٨٠٣).

ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، ففي صحيح البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل؛ واللهِ إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر (وفي رواية: ويصفح)، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا"[(١)].

ومنها: أنه ﷺ أرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله، وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعا، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذباً عن أصحابه وحماية لهم ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهي عنه، وأوصل الخلق لرحمه فهو أحق بقول القائل:

برْدٌ على الأدنى ومرحمةٌ ... وعلى الأعادي مارنٌ جَلْدُ[(٢)].

ومنها: أن كل خير في العالم من آثار نبوته ﷺ، وكل شر في العالم بسبب خفاء آثارها، والعالم جسد روحه النبوة، لولاها لمات هذا الجسد؛ ولذلك تقوم الساعة عندما:" لا يقال في الأرض الله الله"[(٣)]. فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة.

فبهذه الوجوه ونحوها يتبين للبصير كيف أنه ﷺ رحمة مهداة. قال ﷺ:" أنا محمد، وأحمد، والمقفى، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة"[(٤)].

ثالثا: نماذج من رحمته ﷺ:

لقد عمت رحمته ﷺ وشملت الرجال والنساء، الكبار والصغار، المسلمين والكفار، الحيوانات والجمادات، في كل حال، وفي كل زمان ومكان، فمن ذا الذي يحصي مواقع رحمته ﷺ

---

(١) صحيح البخاري. كتاب البيوع. باب كراهية السخب في السوق.

(٢) انظر: ابن القيم، جلاء الأفهام(١/١٧٨).

(٣) رواه مسلم عن أنس.

(٤) رواه مسلم عن أبي موسى، إلا الوصف الأخير، فهو عند الطبراني في" الكبير".

؟! فإن سيرته وأقواله وأفعاله وأحواله كلها رحمة، قال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. قال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به[١].

والتنوين في(رحمةٍ) للتعظيم-أي: بسبب رحمة عظيمة جعلها الله فيك، لنت لهم.

١. رحمته ﷺ بالكبار:

جاء أبو بكر رضي الله عنه بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله، حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر:" لو أقررت الشيخ (يعني أبا قحافة)؛ لأتيناه"- مكرمة لأبي بكر-، فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة بياضا، فقال رسول الله ﷺ:" غيّروهما وجنبوه السواد"[٢].

٢. رحمته ﷺ بالصغار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن أو الحسين بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً قط. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال:" من لا يرحم لا يرحم"[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنكم تقبلون الصبيان، وما نقبلهم. فقال رسول الله ﷺ:" أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك"[٤].

٣. رحمته ﷺ في الموعظة:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السآمة علينا[٥].

٤. رحمته ﷺ في العمل:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في موسوعة التفسير(٥/٦٤٥).

(٢) الصحيحة(٤٩٦).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثماً؛ كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط؛ إلا أن ينتهك حرمة الله فينتقم لله بها[١].

وكان ﷺ يقول:" إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي؛ مما أعلم من شدة وَجْدِ أمه من بكائه"[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا صلى أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير. وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"[٣].

ولما دفع رسول الله ﷺ من عرفة، وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى:" أيها الناس السكينة السكينة"[٤].

وعند رمي الجمرات قال ﷺ" لا يقتل بعضكم بعضا، ولا يصب بعضكم بعضا، وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصا الخذف "[٥].

٥. رحمته ﷺ في التعامل:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ لنفسه شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله[٦].

وعن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف، ولا: لم صنعتَ؟ ولا: ألا صنعت؟[٧].

وحج النبي ﷺ بنسائه، فلما كان في بعض الطريق؛ نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبي ﷺ:" كذلك سَوْقُكَ بالقوارير"[٨].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم عن جابر في الحديث الطويل في صفة حجته ﷺ.

(٥)الصحيحة(٢٤٤٥).

(٦) رواه مسلم.

(٧) متفق عليه.

(٨) الصحيحة(٣٢٠٥).

وعن أنس قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه. قال: فقال رسول الله ﷺ:" لا تُزرموه، دعوه". فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له:" إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن». أو كما قال رسول الله ﷺ. قال: فأمر رجلاً من القوم؛ فجاء بدلو من ماء فسنه عليه(١).

وعن معاوية بن الحكم السلمى رضي الله عنه قال:" بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني، لكني سكتّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ. قلت: يا رسول الله إنى حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: فلا تأتهم. قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: ذاك شيء يجدونه فى صدورهم فلا يصدنهم، قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك، قال: وكانت لى جارية ترعى غنماً لى قِبَل أحد والجَوَّانِيّة، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بنى آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها (وفى رواية: لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها)، قال:" ائتنى بها"، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: فى السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة"(٢).

وهذا حديث عظيم الفوائد مشتمل على بيان رحمة النبي ﷺ في تعامله مع معاوية بن الحكم حتى علّمه ما كان يجهله، ودلالته له على التكفير عن ذنبه بإعتاق الجارية، غير ذلك.

٦. رحمته ﷺ بالبهائم:

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثاً لا أحدّث به أحداً من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش النخل،

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرَفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته إلى سنامه وذِفراه فسكن، فقال:" من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟". فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: " أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها؟! فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه"(١).

ومر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال:" اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة"(٢).

ومر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال:" أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟!"(٣).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال:" كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجة، فرأينا حمُّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرّش، فجاء النبي ﷺ فقال:" من فجع هذه بولدها؟! ردوا ولدها إليها"(٤).

والأحاديث في ذلك كثيرة تبين مدى رحمة النبي ﷺ بالبهائم، ومدى عناية الإسلام بالحيوان البهيم، فكيف بالإنسان؟!

٧. رحمته ﷺ بالجمادات:

عن أنس رضي الله عنه:" أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر ذهب إلى المنبر فحن الجذع، فأتاه واحتضنه، فسكن، فقال:" لو لم أحتضنه؛ لحن إلى يوم القيامة". يعني: الجذع الذي كان يخطب إليه.

وعنه رضي الله عنه:" أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي، فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد؛ حزنا على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر

---

(١) الصحيحة(٢٠). والحائش: النخل المجتمع الملتف. سراته: سراة كل شيء أعلاه. ذفراه: الذفرى: موضع خلف الأذن، يعرق منه البعير.

(٢) الصحيحة(٢٣).

(٣) الصحيحة(٢٤).

(٤) الصحيحة(٢٥).

فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن، ثم قال: أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه؛ لما زال هكذا إلى يوم القيامة؛ حزناً على رسول الله ﷺ، فأمر به رسول الله ﷺ، فدُفن"[1].

٨. رحمته ﷺ بالكفار:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال:" لقد لقيت من قومك، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت- وأنا مهموم- على وجهي، فلم أفق إلا في قرن الثعالب، فرفعت رأسي؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت؛ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم". قال:" فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك. إن شئت أطبق عليهم الأخشبين". فقال رسول الله ﷺ:" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئا"[2].

صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً مزيدا، ما أرحمه عليه الصلاة والسلام- بأبي هو وأمي!

وكان ﷺ ينهى في جهاد الكفار عن قتل النساء والصبيان، ومن لا يقاتل، وينهى عن الغدر والتمثيل بالقتلى[3].

وهكذا، فمن يحصي مواقع ومواضع رحمته ﷺ؛ فسيرته وأقواله وأفعاله وأحواله كلها رحمة، ورسالته التي جاء بها: من توحيد الله، وطاعته وتقواه، وماسنه ﷺ من عبادات، وما نهى عنه من الظلم في المعاملات، وما أرشد إليه من الآداب والأخلاق؛ كل هذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. فيا سعادة من قبِل هذه الرحمة؛ لتناله رحمة أرحم الراحمين، ويسعد بشفاعة سيد المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

وكتب أبو عبد الرحمن سعد بن السيد الشال

٥/ ١٤٤٢/٨هـ

٢٠٢١/٣/١٨م

---

(١) قصة حنين الجذع ثابتة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة؛ في متواترة. وانظر الصحيحة(٢١٧٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) جاء هذا في أحاديث، منها حديث بريدة عند مسلم وغيره.